

التبيان في تفسير القرآن

(4) للتعظيم بتطهير صفاته من كل صفة نقص (العزیز) معناه القادر الذي لا يقهر ولا يغلب (الحكيم) في جميع أفعاله. وقوله (هو الذي بعث) يعني الله الذي وصفه بالصفات المذكورة هو الذي أرسل (في الأميين) قال قتادة ومجاهد: الأميون العرب. وقال قوم: هم أهل مكة، لأنها تسمى أم القرى، والامي منسوب إلى أنه ولد من أمه لا يحسن الكتابة. ووجه النعمة في جعل النبوة في أمي موافقة ما تقدمت البشارة به في كتب الأنبياء السالفة، ولما فيه من أنه أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة. وقوله (رسولا) مفعول (بعث) و (منهم) يعني من سميتهم الأميين ومن جملتهم (يتلو عليهم) أي يقرأ عليهم (آياته) أي حججه وبياناته من القرآن وغيرها (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس الشرك بما يهديهم إلى الإيمان فيجعلهم أركياء. وإنما يجعلهم كذلك بأن يدعوهم إلى طاعة الله التي يقع فيها الاجابة لأنه لو دعاهم ولم يجيبوا لما قيل: إنه زكاهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال قتادة: يعلمهم القرآن والسنة، والحكمة نعم الكتاب والسنة، وكل ما أراده الله، فان الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يخشى أو يحيب من أمر الدين والدنيا (وإن كانوا من قبل) يعني من قبل أن يبعث فيهم ويتلو عليهم القرآن (لفي ضلال مبين) أي في عدول عن الحق جائرين عن الصراط المستقيم مبين أي ظاهر. وقوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال ابن زيد ومجاهد: هم كل من بعد الصحابة إلى يوم القيامة، فان الله بعث النبي منهم وشريعته تلزمهم، وإن لم يلحقوا بزمان الصحابة. (وآخرين) نصب على تقدير ويزكي آخرين منهم، لما يلحقوا بهم. ويجوز أن يكون جرا، وتقديره هو الذي بعث في الأميين وفي آخرين، (وهو العزيز) الذي لا يغالب (الحكيم) في جميع أفعاله وما يأمر به.